



تساءلت دراسة إستراتيجية أعدها أخيراً مركز الأمن القومي الإسرائيلي التابع لجامعة تل أبيب، عن المغزى من شعار (الشعب يريد إسقاط النظام) وما هي المطالب الفعلية للمجتمع، الذي أظهر قوة وتأثيراً كبيرين، وكيف أن الثورة في تونس كانت الأولى، غير أن الثورة في مصر كانت الأهم والأكثر تغطية إعلامية.

وعلى رغم خلع رأسِي النظام في مصر وتونس، غير أن الجيش ما زال يسيطر على مقاليد الأمور، وبذلك فإن الأمور لم تُستكمل بعد، ومع ذلك من الصعب تحديد سمات القوة الاجتماعية الجديدة، والتي تقوم في الأساس على الشباب، وهي ظاهرة لم تحدث سوى في الثورة الإيرانية. لذا، فإن الشعوب العربية لم تنضج بعد لترسيخ نظام سياسي عصري وإدارة ديمقراطية سليمة. ومع ذلك لا تعتبر الدراسة تطلع الشعوب العربية إلى الديمقراطية مصحوباً بطلع إلى الغرب في البعد الثقافي والفكري، ولكن العكس هو الصحيح، حيث إن قسماً بارزاً من الحركة الاحتجاجية، حتى غير الدينية، تحمل عداءً للغرب بصفة عامة، وللولايات المتحدة الأميركيَّة وإسرائيل بصفة خاصة.

هكذا، بات كيان الاحتلال الإسرائيلي بقادته السياسيين وإعلامه ورموزه وأبحاثه ودراساته، يتقلب يومياً على جمر التحولات في المنطقة، وفي سوريا تحديداً، فمن رفض التغيير إلى القبول ولو بخجل، إلى الوقوف في المنتصف، إلى رفع الصوت بالقلق من تغيير النظام، إلى محاولة التسلیم بما سبلي اليوم التالي لسقوط النظام. والجدل مستمر ويتواصل على وقع ما يجري في ساحات المدن والأرياف السورية، حيث يُسيطر على الدراسات والتحليلات التي تصدر تقريراً في شكل يومي هاجس بقاء النظام أو رحيله، حتى بات الانقسام سيد الموقف، وربما يدخل هذا الانقسام في إطار الحرب النفسية التي تخوضها دوائر صنع القرار في كيان الاحتلال الإسرائيلي ضد النظام في دمشق، وذلك في محاولة لخلط الأوراق. فعلى سبيل المثال، رأى محلل الشؤون العسكرية في صحيفة «هارتس» عاموس هارئيل: «أن الأسد، بدأ يفقد سيطرته على الدولة، التي تغرق بالتدريج في الفوضى، إلا أن موعد نفاد مفعول النظام ليس معروفاً».

على هذه الخلفية، يتبع المسؤولون الإسرائيليون ما يجري في سوريا بقلق بالغ، على رغم مزاعهم بأن تأثير إسرائيل في مجريات الأمور هناك هامشي وضئيل، مع أن تداعيات ما يحدث فيها، قد يكون له تأثير إستراتيجي كبير في إسرائيل وأمنها وحتى كيانها. ويسود في هذا الكيان تباهٌ في المواقف عند تقويم حالة النظام السوري، وإذا يسود شبه إجماع بأنه أشرف على النهاية، إلا أن البعض يعد أشهراً وحتى أسابيع، في حين يحصي آخرون سنتين معدودة. لكن بالتأكيد، ما يقلق إسرائيل

ويربكها هو البديل المجهول الذي قد ينشأ في سوريا.

وفي حين يرى بعض القيادات والمحالين الإسرائييليين أن سقوط النظام السوري هو في مصلحة كيانهم، نظراً إلى ما في ذلك من ضربة للمحور الراديكالي، يشدد كثيرون على أن سقوط النظام قد يشكل خطراً على إسرائيل، نظراً إلى ما قد يخلفه من فوضى خطيرة أمنياً، وقد تصل إلى الحكم قوى دينية راديكالية شديدة العداء لإسرائيل. ويرى هؤلاء أن سقوط النظام قد يؤدي إلى فتح جبهة الجولان وانهيار الهدوء الذي سادها أكثر من ثلاثة عقود. فقد حذر رئيس الطاقم الأمني والسياسي في وزارة الأمن الإسرائيلية عاموس غلعاد من أن سقوط نظام الرئيس السوري بشار الأسد سيترتب عليه كارثة تقضي على إسرائيل، وذلك نتيجة لظهور ما سماها «إمبراطورية إسلامية» في منطقة الشرق الأوسط، بقيادة حركة «الإخوان المسلمين» في مصر والأردن وسوريا.

أما الجنرال المتقاعد إيفي إيتام، رئيس ما يسمى الحزب «الوطني الديني» سابقاً وزعير الإسكان الأسبق، فقد أبدى قلقه من إمكانية سقوط نظام الرئيس بشار الأسد في سوريا، كونه «أفضل صيغة حكم بالنسبة لإسرائيل»، معتبراً أنه على رغم المواقف العدائية التي يحافظ عليها النظام تجاه إسرائيل، إلا أنه يبقى أفضل من كل الخيارات الأخرى التي يمكن أن تحل مكانه في حال سقوطه.

على العكس من هذا الرأي، يرى الجنرال الإسرائيلي المتقاعد والباحث المختص بالشؤون الأمنية في معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب، شلومو بروم، أنَّ صعود حركة «الإخوان المسلمين» إلى السلطة في سوريا يصب في مصلحة إسرائيل، معللاً ذلك باختلاف هذه الحركة مع إيران وحزب الله أيديولوجياً، ما سيخرج سوريا من وصاية إيران، على حد تعبيره. لذلك، فإنَّ إسرائيل «مصلحة إستراتيجية بضرب المحور الإيراني الذي يشمل إيران وسوريا وحزب الله، وفي شكل ما حماس والعراق، مع وجود تحفظ لدى بخصوص العراق».

أما الجنرال احتياط عاموس يادلين، الرئيس السابق للاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان)، فقد اعتبر التغيير في سوريا، إذا حصل، تحولاً إستراتيجياً إيجابياً لإسرائيل. وقال إن إسرائيل كانت مستعدة لأن تدفع ثمناً غالياً، يتمثل بالتنازل عن هضبة الجولان مقابل إخراج سوريا من محور سوريا - إيران الراديكالي -، في حين أن ذلك من شأنه أن يحدث اليوم من دون أن تدفع أي ثمن. وقال الجنرال يادلين في معهد أبحاث الأمن القومي، إن الاقتصاد السوري لن يتمكن من الصمود، مشيراً إلى توقف السياحة وهروب رؤوس الأموال وتزايد الدين العام، ما يجعل الضمان الوحيد للصمود هو دعم إيراني بقيمة ثلاثة إلى خمسة بلايين دولار. وأضاف: أن سوريا لن تكون ما هي عليه اليوم في حال سقوط الأسد، منهاً بأن على إسرائيل أن تستعد لما يحمل الربيع العربي من إيجابيات وسلبيات، متميناً أن يمتد غرباً نحو إيران ويوفر على إسرائيل الخيار بين إيران مع قبلة نووية أو من دونها.

وزاد يادلين قائلاً: إن التظاهرات التي بدأت قبل سنة ونيف في العالم العربي، وتحديداً في مصر، لم تنته بعد، واصفاً إياها بالдинاميكية، لافتاً إلى أن سقوط أربعة زعماء عرب في عام 2011م لا يؤكد بالضرورة انتهاء حقبة زمنية معينة، ذلك أنه وفق رأيه، فإن الحديث يدور عن عملية تاريخية ستؤثر في الأجيال الآتية وفي منطقة الشرق الأوسط برمتها لسنوات طويلة، مؤكداً تفاوت التأثير بين دولة ودولة.

ويرى المعلق الإسرائيلي أمنون أبراوموفيتش أن أهم «ميزة إيجابية» في النظام السوري القائم، هو حرصه على عدم تغيير قواعد اللعبة القائمة بين الجانبين، بحيث إن سوريا لم تحاول خلال العقود الثلاثة الماضية تحدي إسرائيل، والرد على الاستفزازات الكثيرة التي قامت بها ضدها. على رغم أن «أكثر الأطراف العربية التي نجح في مواجهتها الردع الإسرائيلي هي سوريا، فقد قمنا بقصف المنشآت النووية شمال شرقي سوريا في كانون الأول (ديسمبر) 2006م، وتم اغتيال عماد مغنية، قائد الذراع المسلحة لحزب الله في قلب دمشق، إلى جانب قيامنا باستهداف موقع للفصائل الفلسطينية داخل سوريا، من

دون أن يتجزأ نظام الأسد الأب والابن على الرد». لكن، على رغم ذلك، يحذر أبراوموفيتش من أن «لا يمكن بالمطلق ضمان أن يسلك نظام آخر غير النظام الحالي هذا السلوك».

كبير المعلقين في صحيفة «معاريف» الإسرائيلية «بن كاسبيت» يصبُّ جام غضبه على المنادين بدمقرطة العالم العربي، ويعتبر أنه بخلاف كل ما يقال، فإن التحول الديمقراطي في العالم العربي لا يخدم المصالح الإسرائيلية؛ باعتبار أنه سينجلب حتماً أنظمة حكم أكثر عداءً لإسرائيل. وينتقد كاسبيت بشدة بعض الأصوات التي تنطلق داخل الولايات المتحدة للمطالبة بمساعدة الجماهير السورية على التخلص من نظام الأسد، وتتابع: «مع كل الاحترام لدعاة الديمقراطية، فإن ما سينتظرنا هنا مواجهة اتجاهات دينية وعلمانية تعبر عن الرأي العام السوري في شكلٍ حقيقي، ونحن ندرك موقف الرأي العام السوري، كما هي الحال بالنسبة إلى موقف الرأي العام العربي في شكلٍ عام، فالجماهير العربية ترفض وجودنا، وتساند خيار المقاومة ضدنا، وبالتالي فإن الحديث عن نظام يعبر عن الرأي العام السوري، يعني بالضرورة جلب نظام معادٍ لإسرائيل». ويرفض كاسبيت الرأي القائل إن العلمانيين العرب سيكونون أقلّ عداءً لإسرائيل من الإسلاميين، مشدداً على أن الطرفين سيعاديان إسرائيل استجابةً لرغبة الرأي العام العربي.

وعن قدرة إسرائيل على التدخل للتغيير مسار الأحداث في سوريا، قال رئيس الموساد السابق إفرايم هليفي: «لا يمكننا أن نقوم بشيء، فهناك المعارضة السورية المدنية التي تعمل خارج سوريا، وهناك قوة عسكرية انتفضت ضد النظام السوري، وهي على الحدود بين سوريا وتركيا، وأعتقد أن تطور الصراع العنيف وتشكيل نوع من القوة العسكرية التي تعمل ضد النظام السوري يعتبران بمثابة معضلة معقدة، وليس من قبيل الصدفة أن الولايات المتحدة خافت من هذا الوضع، ولا تود أن يسقط النظام السوري بواسطة الثورة المسلحة».

هذا تحديداً ما ينسجم مع ما ذكرت صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية وفق ما نقلت عنها «هارتس»، من أن الدول الغربية باتت تخشى التورط في سوريا، بعد أن سيطر عليها التشاؤم في ضوء موقف روسيا حيال الأزمة. وأشارت الصحيفة إلى أن الأوروبيين والأميركيين والعواصم العربية، لم يعودوا قادرين إلا على الاعتماد على أن تغير موسكو موقفها من أجل عزل نظام بشار الأسد ووقف القمع، واستشهدت الصحيفة بالتصريحات التي أدلى بها وزير الخارجية الفرنسي آلان جوبيه: «اعتقدنا أن مجرد انتخاب فلاديمير بوتين رئيساً لروسيا سيكون النقاش في شأن الأزمة السورية أكثر توافقية، لكن التكهنات تبدو قائمة».

المصدر: الحياة السعودية

المصادر: